مدينة سيرايفو عاصمة جمهورية البوسنه والهرسك اليوغوسلافية تعتبر من اهم مراكز الاستشراق في قلب اوربا ، يبلغ تعـــدادها نصف مليون نسمة غالبيتهم من المسلمين في جمهورية يزيد عدد المسلمين فيها على ٨٠٪ من مجموع سكانها وهي جمهورية البوسنه والهرسك ، ومجموع سكانها اربعة ملايين نسمة من بين اثنين وعشرين مليونا هم سكان يوغوسلافيا كلها ..

وإذا كانت مدينـــة « سيرايفو » هي عاصمة الاستشراق والدراسات الاسلاميـــة والعربية في يوغوسلافيا فان هناك مدينـــة اخرى تليها في الاهمية وهي مدينـــة « موستار » التي تبعد عن سيرايفو نحو مائة وخمسين كيلومترا .

وتختلف مدرسة الاستشراق اليوغوسلافية عن غيرها من مدارس الاستشراق الاوربيـــة والامريكية في ان اصل المتبحرين في العلوم العربية والشرقية فيها يختلفون عن الاوربيين في ان ديانتهم الاصلية الاسلام لهـــم غربيون مسلمون يهتمـــون بتراث وعلوم الشرق المسلم وهذا ما يجعلهم يختلفون عن نجوم الاستشراق الغربي من بين الامريكيين والاوربيين على مختلف انتماءاتهم الدينيـــة والعرقية .

وتاريخ الاستشراق في جمهورية البوسنة والهرسك قديم بدأ مع تقدم المسلمين الاتراك ونشر الاسلام في دول البلقان وفي تاريخ الفكر الاسلامي هناك مدرستان شـــهيرتان ازدهرتا في ظل الدولة العثمانية هما مدرسة موستار وسيرايفو في الفقه والفلســـفة الاسلامية .

وإذا كان المتابع لجهود مدارس الاستشراق يعرف دور المستشرقين في الاهتمام بالعلوم الاسلامية منذ نشأت اول مدارس الاستشراق في ظل الدولة الاسلامية في الاندلس في القرن الثامن وحتى انتقل الاهتمام بها الى الكنيســة الكاثوليكية في محاولة لفهم الديانة الاسلامية ومن دور الاهتمام الكنسي جاء دور الاهتمام الايديولوجي من خلال ارتبـــاط الغزوات الاستعمارية بالبعثات الثقافيـــة

سراييفو

التبشيرية والاستشراقية التي مهدت للغزوات الامبريالية او صاحبت تقدمها من خلال الاهتمام بلغات الشرق وآدابه وعاداته وتقاليده واتجاهات التفكير عند شعوبه وقومياته .

واذا كنا نتحفظ على الدور السابق للاستشراق الغربي الا اننا لا يمكن ان ننكر دوره الايجابي في تحقيق المخطوطات وحفظها ومناقشة متونها ووضع الفهارس لها وتنظيم المؤتمرات واللقاءات حولها ثم التعريف بالفكر الاسلامي وطرح قضايا فلسفية علمية تثير الجدل بين الفكر الغربي والفكر الشرقي على نحو ظهر في دائرة الانتفاع بعلوم العرب وفلسفة الشرق

ومن هنا يبدو الاختلاف بين مدارس الاستشراق فعلى حين ارتبطت بعض مدارس الاستشراق الغربية بالغزوات الاستعمارية والحملات التبشيرية والمخططات الصهيونية نجد ان مدرسة الاستشراق اليوغسلافي من حيث هي سليلة النشأ اوربية الهوية لم تشترك في هذا الاتجاه وكان ان تميزت عن مدارس الاستشراق الشهيرة الفرنسية والانجليزية والالمانية والهولندية والروسية والايطالية والاسبانية ثم المدرسة الامريكية الجديدة ويمكن أن نفصل الاهداف الدينية والاقتصادية والايديولوجية والفلسفية لاتجاهات هذه المدارس عن نفس الاهداف عند المدارس الاخرى واشهرها المدرسة المجرية التي يعتبر المرحوم عبد الكريم جرمانوس اهم اعمدتها ثم المدرسة الفنلندية والكندية والسويدية واليابانية والتشيكوسلوفية والتشيكية .

وهذه المدارس تختلف ايضا عن مدارس الاستشراق الماركسية ومدارس الاستشراق المسيحية اليسوعية والبروتستانتية وايضا مدارس الاستشراق اليهودية ومنها بعض المدارس الصهيونية المتطرفة .

● لكن بماذا تختلف مدرسة الاستشراق اليوغوسلافية عن المدارس الاستشراقية الاخرى ؟

رئيس المشيخة الاسلامية في جمهوريات البوسنه والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا

الدكتور احمد سمايلوفتش يجيب على هذا التساؤل في اكثر من دراسة منها رسالته الاكاديمية عن فلسفة الاستشراق .

يقول الدكتور احمد سمايلوفتش . ان المفترض في مدرسة الاستشراق اليوغوسلافية ان تكون لها خصائصها واتجاهاتها ومميزاتها المتفرده لانها تمتلك عددا هائلا من المؤلفات والوثائق والمخطوطات باللغات الاسلامية الثلاث العربية والتركية والفارسية وان اغلبها باللغة الاسلامية الاولى وهي اللغة العربية ، كما ان ثقافتها قد ظلت حتى الان وثيقه الصلة بالحضارة العربية الاسلامية سواء من خلال الاتراك او من خلال غيرهم وقد ظل شعراء وكتاب هذه البلاد يكتبون بالعربية والتركية والفارسية حتى عهد قريب بعد نهاية الحرب العالمية الاولى كما وجدت ايضا مدارس اسلامية عديدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وظل اتباعها على صلات وثيقة بالمراكز العلمية الاسلامية خاصة في القاهرة .. واستامبول بجانب استمرار علاقاتهم بالمراكز الاوروبية في باريس وبودابست وفيينا . ومن هنا جاء توزيع مستشرقي المدرسة اليوغوسلافية بين هذه المدرسة او تلك ، الامر الذى يعني ان الاستشراق اليوغوسلافي كان ولا يزال امامه ان يلعب دور همزة الوصل في الدراسات

مخطوط اسلامي نادر فى دار المخطوطات في سراييفو

العربية الاسلامية لا في حيزها الجغرافي لحسب بل في كل اوربا ومنطقة البحر المتوسط ..

وعندما التقي بالدكتور يوسف راميتش الاستاذ بكلية الدراسات الاسلامية في سيرايفو وصاحب الدراسة الاكاديمية الضخمة عن دور اسرة الموبلعي في الادب العربي اعرف منه ان الاستشراق اليوغوسلافي عاد يشق طريقه من جديد الى آفاق مستقبلية خاصة من خلال التعاون مع المعاهد العلمية الاسلامية والعربية ومنها الجامعات المصرية وقد صاحب ذلك التقدير اليوغوسلافي للوحدة المسلمين اليوغوسلاف ممن يهتمون بالبحث في تاريخهم وتراثهم وحضارتهم .

ومن انجازات الاتجاهات الاستشراقية الاسلامية الحديثة في يوغوسلافيا ماذكره لي مستشار دار المخطوطات الاسلامية في سيرايفو عمر ناليتشفيتش من ان المكتبة الاسلامية الملحقة بمسجد خسرو غازي باشا اصدرت معجما عربيا صربيا كرواتيا في جزءين ضخمين يقعان في اكثر من اربعة الاف صفحة ، كما انعقدت الندوة العلمية للحضارة العربية الاسلامية التي نظمها معهد الدراسات الشرقية في سيرايفو منذ عدة سنوات حيث قدم بعض المستشرقين اليوغوسلاف ابحاثهم العلمية التي تدور حول موضوعات الفلسفة العربية الاسلامية والفقه الاسلامي والدولة وفلسفة الجمال العربية الاسلامية .

ومن بين منجزات الاستشراق اليوغوسلافي الاهتمام البالغ بالمخطوطات الاسلامية الموجودة في سيرايفو ومن بينها مخطوط راجعه ابو حامد الغزالي لكتابه « رسالة التوحيد » وكان ذلك قبل وفاته بعامين فقط ، وهناك ايضا الاف المخطوطات الاسلامية النادرة للقرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وكتابات رواد الفكر من الائمة الاوائل ..

وتتنوع المخطوطات بجانب هذه الثروات في مخطوطات اخرى باللغات العربية والتركية والفارسية ومعظمها محفوظ في مكتبة غازي خسرو بك في قلب مدينة سيرايفو وهي تعتبر من اغنى مكتبات اوربا بالمخطوطات المتنوعة ، وقد امكن فهرسة وتبويب هذه المخطوطات من خلال جهد قام به الباحث اليوغوسلافي قاسم دوبراجا في تبويب وتسجيل وفهرسة هذه الكنوز من المخطوطات النادرة .

وفي يوغوسلافيا بجانب مفكريها ومستشرقيها ممن درسوا في العواصم الاسلامية واتصلوا بالعواصم الاوربية يوجد جيل جديد من المهتمين بالفكر الاسلامي يتجهون مستقبلا الى اثراء مدارس الاستشراق .

هؤلاء يبدا اعدادهم من خلال المعاهد والمدارس الاسلامية وفي يوغوسلافيا مدارس اسلامية ابتدائية وثانوية وكليات على المستوى الجامعي ثم هناك كلية الدراسات الاسلامية على مستوى الدراسات العليا المتعلقة بدرجتي الماجستير والدكتوراه .

وفي يوغوسلافيا وبالتحديد في جمهورية البوسنة والهرسك عدد من الصحف والمجلات الاسلامية اشهرها مجلة البحث الاسلامي ومجلة الايمان ومجلة « زمزم » وجريدة « الصحوة » وكتاب التقويم السنوي .

الامر الذي يعني كما يقول الصحفي اليوغسلافي المسلم جمال بكوفيتش ان امام الاستشراق اليوغوسلافي امكانات ضخمة وآمال كبيرة من خلال ازدياد عدد المهتمين بالدراسات الاسلامية والتسهيلات التي تمنح لهم من قبل اجهزة الثقافة والتعليم في جمهورية البوسنة والهرسك وفي الحكومة الاتحادية في بلجراد خاصة وان امام المستشرق اليوغوسلافي كما يذكر المفكر

الإسلام والاستشراق اليوغوسلافي

الاسلامي اليوغوسلافي حسن الكتب في بحوث ومحاضرات الدورة الحادية والثلاثين لمجمع اللغة العربية واجبين اساسيين اولهما دراسة الماضي اليوغوسلافي خلال العصر العثماني وكل ما يتصل بالحضارة الاسلامية في ذلك العهد بما يتضمنه ذلك من جمع الوثائق العربية وبحثها ونشر تلك الوثائق بجانب دراسة تاريخ المؤسسات الدينية والثقافية ودراسة المخطوطات التي يبلغ عددها حوالي ٩١٥ الف مخطوط .

اما الواجب الثاني فهو تعريف الشعوب اليوغوسلافية ثم الشعوب الاوربية بالعلوم العربية وحضارة العرب وادابهم والعمل على نشر اللغة العربية والترجمة منها الى اللغة العربية الكرواتية مثلما نشطت حركة الترجمة بعد الحرب العالمية الثانية وكان من نتاج هذا النشاط ترجمة الف ليلة وليلة ـ كليلة ودمنة ـ طوق الحمامة ، ومن القصص القصيرة « زهرة من المرقص » و « مكتوب على الجبين » لمحمود تيمور ومن الدراسات كتاب عباس محمود العقاد « التفكير فريضة اسلامية » ومن الاعمال الادبية « يوميات نائب في الارياف » لتوفيق الحكيم بجانب عشرات الاعمال الشعرية والدراسات الادبية والمقالات التي ترجمت من اللغة العربية الى اللغة الصربية الكرواتية لغة يوغوسلافيا الفيدرالية .

اما اهم نتاج فكر المستشرقين اليوغوسلاف اليوم فهو المجلة العلمية الدورية التي تصدر عن معهد الدراسات الشرقية في سراييفو ويكتب فيها اعضاء جمعية المستشرقين اليوغوسلاف وهي جمعية تشجع البحوث في مجالات الاستشراق من فقه وفكر وعلم يهتم بالتراث الاسلامي وافاق المستقبل ●

PREPOROD

البعث الإسلامي

ISLAMSKE INFORMATIVNE NOVINE

ISLAMSKA EDUKACIJA - PRIMARNA OBAVEZA

صفحة من صحيفة البعث الاسلامي